

القراء ومدارس الإقراء في الجزائر

الدكتور / بوعبد الله غلام الله

وزير الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر-

وقد بدأ الاهتمام بالقراءات في الجزائر خصوصا وسائر أمصار بلاد المغرب عموما في القرنين الخامس والسادس الهجريين، و ترك علماءنا تراثا ضخما في هذا الفن أثروا به المكتبة الإسلامية، و كانت المدارس القرآنية و الزوايا منار إشعاع لهذا العلم، فكانت بجاية معقلا ومقصدا لدراسة الشاطبية رحل إليها العلماء وتزاحمت عليها الركبان و من أشهر هؤلاء عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الذي رحل إلى بجاية وتولى خطبتها وقضاءها فدرس فيها الشاطبية وأسمعها، وممن

إن التأمل في الاهتمام البالغ الذي حضي به علم القراءات قديما وحديثا، من طرف كل الأمم التي أنار القرآن ربوعها، ليملي علي واجب إبراز الجهود التي قدمها علماء الجزائر في خدمة هذا الفن على مر تاريخ هذا البلد المفدى، الذي كان مشد الأنظار ومحل التقدير والإجلال، حين اشتهر علماء الجزائر بالحنق و التبريز في علم القراءات أشرف العلوم وأجلها لاتصاله بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

الجزائر كسائر الأقطار الإسلامية الأخرى، لكن الاهتمام انصرف أكثر إلى قراءة الإمام نافع، وهذا منذ أن دخلت هذه القراءة إلى الغرب الإسلامي على يد أبي عبد الله بن خيرون الأندلسي المغربي سنة (306)³، ولم تمض مدة طويلة على دخول هذه القراءة إلى إفريقيا حتى استحسناها الناس، وأمر بتلقينها دون غيرها⁴، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انتشار مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة، فالإمام نافع القارئ شيخ للإمام مالك، وكان مالك يرى أن نافعا هو إمام الناس في القراءة⁵.

وجاء في مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة أنه قال: «إنما وقع الاختصار في المغرب على قراءة نافع لاختيار مالك قراءته، وسمعت من فضلاء المغاربة أنهم اختاروا ذلك ليكون فقههم فقه عالم المدينة، وقراءتهم قراءة قارئ المدينة»⁶.

رحل ليسمع منه علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة أبو الحسن البلنسي خطيب بلنسة و مقرئها¹. وانتشرت المعاهد و المدارس القرآنية في كل من الزواوة و تلمسان و وهران و غليزان و سائر أقطار الوطن المترامي الأطراف شيدها الزيانيون و المرينيون و من بعدهم، وصفها يحي بن خلدون بأنها «معاهد كريمة»².

وسأقسم كلمتي هذه إلى ثلاثة محاور وهي:

أولا: انتشار قراءة نافع في الجزائر إلى جانب المذهب المالكي

ثانيا: علماء الإقراء الجزائريين

ثالثا: مدارس الإقراء بالجزائر قديما وحديثا.

أولا: انتشار قراءة نافع في الجزائر إلى جانب المذهب المالكي:

عرف الاهتمام بسائر القراءات المشهورة و المتواترة من طرف علماء

في كتابه: «معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار»، وهو من أئمة القرن الخامس الهجري له «كتاب الكامل في القراءات»، فجاء في ترجمته هو : «يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سودة، الإمام أبو القاسم الهذلي المغربي البسكري، وبسكرة بليدة بأقصى المغرب». وهي إحدى ولايات الجزائر، ولأنه كان عالي الهمة كثير الرحلة في طلب العلم قال عنه الإمام الذهبي: «ارتحل من بلده إلى إفريقيا، إلى مصر، إلى الحجاز، إلى الشام، إلى العراق إلى أصبهان ، إلى خراسان، إلى ما وراء النهر»، وقال عن شيوخه الذين أخذ عنهم : «وذلك أمر لم يتهياً لأحد قبله ولا بعده فيما أعلم» و ذلك لكثرتهم إذ بلغ عددهم مائة واثنان وعشرون شيخاً. ونقل عنه أنه قال «فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً

وقد شكل الجمع بين قراءة نافع ومذهب مالك الشخصية الجزائرية عبر التاريخ وكان من أهم العوامل التي ساعدت على تعميق الشعور والإحساس بالوحدة و الانسجام الاجتماعي والمذهبي.

ثانيا: علماء الإقراء الجزائريين:

قيل «إن علم القراءات هو الميدان الوحيد الذي سيطر عليه المغاربة»⁷ وللوقوف على هذه الحقيقة التي لا يماري فيها أحد وإبراز الصفحة المشرقة التي سطرها علماء الإقراء الجزائريين بكثير من النبوغ والتفوق، نرى أنه من المفيد أن نتعرض لذكر بعض كبار القراء الذين جادت بهم أرض الجزائر لخدمة القرآن وعلومه، فتركوا أثارا ومؤلفات في علم القراءات منها ما هو مطبوع، ومنها ما ينتظر.

1 - أبو القاسم الهذلي: هذا الإمام الذائع الصيت، ترجم له الإمام الذهبي

من آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينا وشمالا ، و جبالا و بحرا، ولو علمت أحدا يقدّم علي في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته» و توفي رحمه الله سنة أربعمائة وخمس وستين⁸.

2 - الشيخ محمد أبو القاسم البوجلبي (1829م - 1898م): وهو من أبرز العلماء المجازين في علم القراءات درس في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي وقد ألف كتابا تحت عنوان: «التبصرة في القراءات العشر» وعلى صغر حجمه يزخر بالفوائد الجمّة، إذ أثبت سنده في علم القراءات ببلاد زواوة التي اشتهرت بمعاهدها الخاصة بفن القراءات، تلك المعاهد التي كانت محط رجال المقرئين طيلة العهد العثماني وكان يقصدها الطلاب من القطاع القسنطيني وتونس⁹، وقد خرج هذا المخطوط إلى النور بعد أن

حققه الأستاذ حسين وعليلي أستاذ بمعهد القراءات بالجزائر العاصمة في رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير سنة 2008م بجامعة الجزائر، وكان الأستاذ حسين قد قرأه على الشيخ العلامة الطاهر آيت علجت وأجازه به.

3 - أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي مقرئ قسنطينة بالجزائر:

كان أبو العباس¹⁰ الزواوي¹¹ إماما في القراءات وله علو في السند وتصانيف في القراءات والعربية نظما ونثرا¹²، ومن أشهر من درس عليه العلامة بن خلدون صاحب المقدمة المشهورة، فقد قال عنه: «وكان إماما في القراءات وصاحب ملكة فيها لا يجارى، وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود، وكان يصلي بالسلطان التراويح، ويقرأ عليه بعض الأحيان حزيه»، وذكر قراءته عليه في تاريخه

هذا ولئن اكتفيت بهذا القدر فلأنني أعجز عن ذكر جميع أعلام القراءات لكثرتهم، و شهرتهم حتى غدوا نجوما طوالع تزينت بهم سماء الإقراء في العالم أجمع، ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوه و أشيد بالكتاب الذي ألفه الأستاذ سالم عبد الكريم بوحامدي، بعنوان «دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين» فهو يحوي نخبة من العلماء والقراء في الجزائر في وقتنا الحاضر، منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر.

ثالثا: مدارس الإقراء في الجزائر قديما وحديثا:

لقد كان الهدف من إنشاء المدارس القرآنية و الزوايا في الجزائر تعليم القرآن الكريم و علومه في كل القرى و المداشر، فبلغت هذه المدارس أوج

فقال: «ومنها أبو العباس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب، قرأت عليه القراءان العظيم بالجمع الكبير بين القراءات السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح في ختمة لم أكملها، وسمعت عليه عدة كتب وأجازني بالإجازة العامة».¹³

4 - محمد شقرون بن أحمد المغراوي المعروف بالوهراني (ت 929هـ)

هو من مشاهير القراء وفي أواخر القرن التاسع ألف الوهراني قصيدته في علم القراءات سماها «تقريب النافع في الطرق العشر لنافع» وهي عبارة عن قصيدة لامية¹⁴، و تقع قصيدة الإمام محمد بن شقرون في (302) وفي بعض النسخ (122) بيتًا، عدّها الشيخ المهدي البوعبدلي في حكم المفقودة، لكنها في الحقيقة موجودة وفي نسخ عديدة ذكرها الدكتور عبد الهادي حميتو.

2 - مدرسة أبي الحسن المريني:
بمنطقة العباد.

3 - المدرسة اليعقوبية: أسسها
السلطان أبو حموموسى الثاني.¹⁵

4 - معهد القلعة بغليزان: من
المعاهد المتخصصة في رسم القرآن
الكريم وخطه.

5 - معهد القلعة: وهي قلعة بني
راشد، وكانت تسمى قلعة هواره، إذ
قبيلة هواره هي التي أسستها في القرن
الخامس الهجري، وكانت القلعة
منذ أقدم العصور معلومة بقراءة
القرآن، وسائر فنون العلم من حديث
وتفسير قرآن وحساب وفرائض ونحو
وتوحيد ومنطق وبيان، وبديع ومعاني
واستعارات وأصول وشعر، وغير
ذلك.¹⁶

ازدهارها في تحفيظ القرآن و تعليم
القراءات حتى غدت مقصدا للكثير
من طلاب العلم خاصة من الأقطاب
المجاورة كتونس والمغرب، فتخرج فيها
كوكبة من العلماء، منهم من تعرضنا
إليهم في المحور السابق، وسوف أتناول
في هذا المحور باختصار أهم هذه
المدارس القرآنية والزوايا والمقارئ التي
ساهمت في خدمة ونشر القراءات في
الجزائر عبر التاريخ وذلك من خلال
مبشرين:

المبحث الأول: الزوايا و مدارس
الإقراء التاريخية:
ونذكر منها:

1 - مدرسة ولدي الإمام: بنيت في
عهد السلطان أبي حموموسى الأول.
2 - المدرسة التاشفينية: بناها عبد
الرحمن أبو تاشفين بجانب المسجد
الأعظم.

- 6 - مقراءة فضيل بلعظم بمسجد زين العابدين وسط مدينة وهران.
- 7 - مقراءة حوالف عكاشة بن عبد المؤمن أبو ميسرة بمسجد الحسنين بالسانية وهران.
- 8 - مقراءة علالي نصيرة أم ميسرة بمسجد الحسنين - السانية.
- 9 - مقراءة محمد نعيم بمسجد الإمام علي بتلمسان حي الإمامة
- 10 - مقراءة إبراهيم بلخير بمسجد حمزة بن عبد المطلب بالحناية.
- 11 - مقراءة سعيد حضري بمسجد سعيد بن زيد المحطة معسكر.
- 12 - مقراءة ابن باديس للقراءات (18 أستاذ وأستاذة).
- 13 - مقراءة أبو مريم عبد الرحمن رحمان بن رايح عشاش بمسجد الشيخ محمد الغزالي، حي حشي الموسع سطيف.¹⁷
- وتعد هذه المدارس و غيرها مما لم نذكر هنا المكان الريحب لتحفيظ كتاب الله تعالى وتعليم القراءات.

المبحث الثاني: مدارس الإقراء في العصر الحاضر:

أما في العصر الحديث فإضافة إلى العديد من الزوايا و المدارس القرآنية التي لا تزال تواصل في أداء رسالتها التاريخية في مجال حفظ القرآن الكريم وتعليم القراءات، فقد أنشئت مقارئ متخصصة في مجال الإقراء وأهمها:

- 1 - مقراءة خالد بن علي بن محمد درباني - بمسجد حمزة بن عبد المطلب بالعاصمة.
- 2 - مقراءة بدر بلعباس بمسجد التقوى بحي باب الواد.
- 3 - مقراءة كريم بن دراجي رضاونة، يقرئ بمدرسة أبي زيد القيرواني
- 4 - مقراءة عبد الحميد برقوق بمسجد القدس بحي الصنوبر البحري المحمدية - العاصمة.
- 5 - مقراءة عاشور خضراوي بمسجد النصر حي السانية.

و في الختام أرجوا أن تكون هذه الورقة قد لبّت ما كان منتظرا منها، ونثمن كل مجهود يهدف إلى خدمة القرآن وعلومه.

الهوامش:

- 1 - د. عبد الهادي حميتو قراءة نافع عند المغاربة ج1، ص 146، 147.
- 2 - د. مهدي دهيم، جهود علماء الجزائر في خدمة القراءات القرآنية، محاضرة في الملتقى العلمي الثالث لطلاب الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية المدينة المنورة. 2012م
- 3 - د. سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ص 13.
- 4 - د. هند شلي، القراءات بإفريقيا من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العربية للكتاب، ط 2010م، ص 223.
- 5 - المرجع نفسه، ص 226.
- 6 - الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار هومة، ط 2010م، ص 251.
- 7 - عبد الهادي حميتو، مرجع سابق، ص 23.

- 8 - الإمام شمس الدين الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تحقيق د. طيار آلي قولاج، ج 2، ط استانبول 1995م، ص 815-818.
- 9 - المهدي البوعبدلي مرجع سابق.
- 10 - عبد الكريم الفكون، غاية النهاية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ترجمة الزواوي، تقديم أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1987، ص 200.
- 11 - المهدي البوعبدلي، اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات، محاضرة ألقاها في ملتقى الفكر الإسلامي سنة 1981.
- 12 - المرجع نفسه، ص 576.
- 13 - عبد الحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مراجعة الدكتور سهيل زكار، ج 7، دار الفكر، ط 2000م، ص 513.
- 14 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1985، ص 22.
- 15 - د. مهدي دهيم مرجع سابق، ص 3.
- 16 - مسعود بولجويجة، الإقراء في الجزائر، منقول من مجلة المنبر.
- 17 - سالم بن عبد الكريم بوحامدي، دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين، نسخة كتاب في قرص مضغوط.